

عُمْرَةُ الْقَضَاءِ

خُرُوجُ الرَّسُولِ ﷺ مُعْتَمِرًا فِي ذِي الْقَعْدَةِ:

وفى ذى القعدة فى السنة السابعة من الهجرة خرج الرسول ﷺ إلى مكة قاصداً العمرة ، كما اتفق مع قريش فى صلح الحديبية ، وقد بلغ عدد من شهد عمرة القضاء ألفين سوى النساء والصبيان ، ولم يتخلف من أهل الحديبية إلا من استشهد فى خيبر أو مات قبل عمرة القضاء^(١) .

واستخلف على المدينة عُوَيْفُ بْنُ الْأَضْبَطِ الدِّيلِيُّ أو أبا رُثُمَ الغفارى ، وساق ستين بدنة ، وجعل عليها ناجية بن جُنْدُبِ الْأَسْلَمِيِّ ، وأحرم للعمرة من ذى الحليفة ، ولبى ولبى المسلمون معه ، وخرج مستعداً بالسلاح والمقاتلة ؛ خشية أن يقع من قريش غدر ، فلما بلغ يأجج وضع الأداة كلها الحَجَفَ والمَجَانِ والتَّبِلَ والرَّمَاخَ ، وخلف عليها أوس بن خَوْلٍ الأنصارى فى مائتى رجل ، ودخل بسلاح الراكب: السيوف فى القرب^(٢) .

دُخُولُ مَكَّةَ وَالطَّوَافُ وَالسَّقْيُ:

ومن بطن يأجج تابع رسول الله ﷺ سيره نحو مكة على راحلته القصواء ، فدخلها من الثنية التى تطلعه على الحجون ، والمسلمون حوله متوشحون سيوفهم محدقون به كل جانب ، يسترونه من المشركين مخافة أن يؤذوه بشيء ، وأصواتهم تشق عنان السماء بالتلبية لله العلى الكبير .

وقد خرج قسم من أهالى مكة إلى رؤوس الجبال ؛ لينظر إلى المسلمين من الأماكن العالية ، والقسم الأكبر وقف عند دار الندوة المجاورة للكعبة الشريفة آنذاك ؛ ليشاهدوا رسول الله ﷺ وأصحابه الكرام أثناء دخولهم مكة المكرمة وبيت الله الحرام .

وكان المشركون قد أطلقوا شائعة ضد المسلمين مفادها أنهم وهتهم حُمًى يثرب ، فأمر النبى ﷺ أصحابه أن يرملوا الأشواط الثلاثة ، وأن يمشوا ما بين الركنين ؛ لكى يرى المشركون قوتهم ودخل رسول الله ﷺ ، واضطبع بردائه فأخرج عضده اليمنى وشرع فى الطواف وأصحابه يتابعونه ، ويقتدون به ، ولما رأى المشركون ذلك قالوا: هؤلاء الذين

(١) السيرة النبوية للصلابي (٢ / ٤١٥) .

(٢) الرحيق المختوم ص ٣٣٢ .

زعمتم أن الحمى قد وهنتهم ، هؤلاء أجلد من كذا وكذا ^(١) .

وَكَانَ عَبْدُ اللَّهِ بْنُ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ يَمْشِي وَهُوَ يَرْتَجِزُ مَتَوْشِحًا بِالسَّيْفِ وَهُوَ يَقُولُ:

خَلُّوا بَنِي الْكُفَّارِ عَنْ سَبِيلِهِ	خَلُّوا فَكُلَّ الْخَيْرِ فِي رَسُولِهِ
قَدْ أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ فِي تَنْزِيلِهِ	فِي صَحْفٍ تَتْلَى عَلَى رَسُولِهِ
يَا رَبِّ إِنِّي مُؤْمِنٌ بِقَوْلِهِ	إِنِّي رَأَيْتُ الْحَقَّ فِي قَوْلِهِ
يَأْتِ خَيْرَ الْقَتْلِ فِي سَبِيلِهِ	الْيَوْمَ نَضْرِبُكُمْ عَلَى تَنْزِيلِهِ
صَرَبًا يُزِيلُ الْهَامَ عَنْ مَقِيلِهِ	وَيُذْهِلُ الْخَلِيلَ عَنْ خَلِيلِهِ

فَقَالَ لَهُ عُمَرُ: يَا ابْنَ رَوَاحَةَ بَيْنَ يَدَيْ رَسُولِ اللَّهِ ﷺ وَفِي حَرَمِ اللَّهِ ، تَقُولُ الشُّعْرَ فَقَالَ لَهُ النَّبِيُّ ﷺ : « خَلَّ عَنْهُ يَا عُمَرُ ، فَلَيْهِ أَسْرَعُ فِيهِمْ مِنْ نَضْحِ الثَّبَلِ » .

ولما فرغ من الطواف سعى بين الصفا والمروة ، فلما فرغ من السعى وقد وقف الهدى عند المروة قال: "هذا المنحر وكل فجاج مكة منحر" فنحر عند المروة ، وحلق هناك وكذلك فعل المسلمون ثم بعث ناساً إلى يأجج ؛ ليقيموا على السلاح ، ويأتى الآخرون فيقبضون نسكهم ففعلوا ^(٢) .

النَّبِيُّ ﷺ يَتَزَوَّجُ مَيْمُونَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا :

وفى هذه العمرة تزوج النبي ﷺ بميمونة بنت الحارث العامرية ، وكان رسول الله ﷺ قبل الدخول فى مكة قد بعث جعفر بن أبى طالب بين يديه إلى ميمونة ، فجعلت أمرها إلى العباس وكانت أحبتها أم الفضل تحته فزوجها إياه ، فلما خرج من مكة خلف أبا رافع ؛ ليحمل ميمونة إليه حين يمشى فبنى بها بسرف ^(٣) .

رَسُولُ قُرَيْشٍ إِلَى النَّبِيِّ ﷺ :

أقام رسول الله ﷺ بمكة ثلاثاً فاتاه حويطب بن عبد العزى فى نفر من قريش فى اليوم الثالث ، وكانت قريش قد وكلته بإخراج رسول الله ﷺ من مكة فقالوا له: إنه قد انقضى أجلك فأخرج عنا فقال النبي ﷺ : « وما عليكم لو تركتموني فأعرست بين أظهركم

(١) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٤١٦ - ٤١٧) بتصرف .

(٢) الرحيق المختوم ٣٣٢ - ٣٣٣ .

(٣) سيرة الرسول أبو عمار ص ٥٢١ .

وصنعنا لكم طعاماً لحضرته» قالوا: لا حاجة لنا في طعامك ، فخرج عنا فانصرف رسول الله ﷺ إلى المدينة في ذى الحجة بعد أن بنى بميمونة بسرف^(١) .

خُرُوجُ ابْنَةِ حَمْزَةَ بْنِ عَبْدِ الْمُطَّلِبِ خَلْفَ النَّبِيِّ ﷺ :

لما أراد النبي ﷺ الخروج من مكة فَبِعَتْهُ ابْنَةُ حَمْزَةَ تَنَادِي: يَا عَمُّ يَا عَمُّ فَتَنَاوَلَهَا عَلِيُّ بْنُ أَبِي طَالِبٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ فَأَخَذَ بِيَدِهَا وَقَالَ لِفَاطِمَةَ عَلَيْهَا السَّلَامُ دُونَكَ ابْنَةُ عَمِّكَ حَمَلَتْهَا فَاخْتَصَمَ فِيهَا عَلِيُّ وَزَيْدٌ وَجَعْفَرٌ فَقَالَ عَلِيُّ أَنَا أَحَقُّ بِهَا وَهِيَ ابْنَةُ عَمِّي وَقَالَ جَعْفَرٌ ابْنَةُ عَمِّي وَخَالَتُهَا تَحْتِي وَقَالَ زَيْدٌ ابْنَةُ أَخِي فَقَضَى بِهَا النَّبِيُّ ﷺ لِخَالَتِهَا وَقَالَ: «الْخَالَةُ بِمَنْزِلَةِ الْأُمِّ» وَقَالَ لِعَلِيٍّ: «أَنْتَ مِنِّي وَأَنَا مِنْكَ» وَقَالَ لَجَعْفَرٍ: «أَشْهَتْ خَلْقِي وَخَلْقِي» وَقَالَ لَزَيْدٍ: «أَنْتَ أَخُونَا وَمَوْلَانَا» .

وقال علي لزيد: ألا تزوج بنت حمزة؟ قال: إنها ابنة أخي من الرضاعة^(٢) .

سَبَبُ تَسْمِيَّتِهَا بِعُمْرَةِ الْقَضَاءِ :

سميت هذه العمرة بعمره القضاء ؛ إما لأنها كانت قضاء عن عمرة الحديبية ، أو لأنها وقعت حسب المقاضاة أى: المصالحة التى وقعت فى الحديبية ، والوجه الثانى رجهه المحققون ، وهذه العمرة تسمى بأربعة أسماء القضاء والقضية والقصاص والصُّلْحُ^(٣) .

السَّرَايَا بَعْدَ عُمْرَةِ الْقَضَاءِ :

وقد أرسل رسول الله ﷺ بعد الرجوع من هذه العمرة عدة سرايا وهى كما يلى: سرية ابن أبي العوجاء فى ذى الحجة سنة ٧هـ ، فى خمسين رجلاً ، بعثه رسول الله ﷺ إلى بنى سليم ؛ ليدعوهم إلى الإسلام فقالوا: لا حاجة لنا إلى ما دعوتنا ثم قاتلوا قتالاً شديداً جرح فيه أبو العوجاء ، وأسر رجلان من العدو .

١- سَرِيَّةُ غَالِبِ بْنِ عَبْدِ اللَّهِ إِلَى مَصَابِ أَصْحَابِ بَشِيرِ بْنِ سَعْدٍ بِفَدَاكِ :

فى صفر سنة ٨هـ بعث فى مائتى رجل فأصابوا من العدو نعما ، وقتلوا منهم قتلى .

(١) ابن هشام (٢ / ١١٨) .

(٢) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٤١٩ - ٤٢٠) .

(٣) الرحيق المختوم ص ٣٣٣ .

٢- سَرِيَّةُ ذَاتِ أَطْلَحَ:

فى ربيع الأول سنة ٨هـ، كانت بنو قصاعة قد حشدت جموعاً كبيرة؛ للإغارة على المسلمين، فبعث إليهم رسول الله ﷺ كعب بن عمير الأنصارى فى خمسة عشر رجلاً، فلقوا العدو فدعوههم إلى الإسلام فلم يستجيبوا لهم، وأرشقوهم بالنبل حتى استشهد كلهم إلا رجلاً واحداً فقد ارتث من بين القتلى.

٣- سَرِيَّةُ ذَاتِ عَرَقٍ إِلَى بَنِي هَوَازِنَ:

فى ربيع الأول سنة ٨هـ، كانت بنو هوازن قد أمدت الأعداء مرة بعد أخرى فأرسل إليها شُجاع بن وهب الأسدى فى خمسة وعشرين رجلاً، فاستاقوا نعماً من العدو، ولم يلقوا كيداً^(١).

الْعِبَرُ وَالْعِظَاتُ:

١- هذه العمرة تعتبر تصديقاً إلهياً لما وعد به النبى ﷺ أصحابه من دخولهم مكة وطوافهم بالبيت، وقد رأيت كيف سأل عمر رسول الله ﷺ أثناء صلح الحديبية أو لست كنت تحدثنا أنا سنأتى البيت فنطوف به فأجابه: «بلى أفأخبرتك أنك تأتية عامك هذا؟» قال: لا، قال: فإنك آتية ومطوَّف به.

فهذا هو مصداق وعد رسول الله ﷺ وقد نبه الله - عز وجل - عباده إلى هذا التصديق فى قوله: ﴿لَقَدْ صَدَقَ اللَّهُ رَسُولَهُ الرُّءْيَا بِالْحَقِّ لَتَدْخُلَنَّ الْمَسْجِدَ الْحَرَامَ إِنْ شَاءَ اللَّهُ ءَامِنِينَ مُحَلِّقِينَ رُءُوسَكُمْ وَمُقَصِّرِينَ لَا تَخَافُونَ فَعَلِمَ مَا لَمْ تَعْلَمُوا فَجَعَلَ مِنْ دُونِ ذَلِكَ فَتْحًا قَرِيبًا﴾ (٢٧) [الفتح: ٢٧].

ثم إن هذه العمرة انطوت على معنى تمهيدى للفتح الكبير الذى جاء بعده، فقد كان لمراى ذلك العدد الوفير من الأنصار والمهاجرين وهم محدوقون برسول الله ﷺ فى طوافهم بالبيت وسائر مناسكهم، فى حماس ونشاط غير مأمولين منهم فيما كان يتصوره المشركون، كان ذلك أثر بعيد فى نفوسهم، فقد داخلتها الرهبة منهم إذ فوجئوا بعكس ما كانوا يتصورون فيهم من الضعف والخنول؛ بسبب ما قد يحتمل أن يكونوا قد أصيبوا

(١) الرحيق المختوم ص ٣٣٣.

من حمى يثرب وسوء مناخها^(١).

٢- اصطحاب النبي ﷺ السلاح الكامل معه ووضعه خارج الحرم قريباً منه ؛ لأنه لا يأمن غدر مشركى قريش وخيانتهم ، ولذلك احتاط ﷺ وأخذ الحذر ، ووفى بعهده ووعد لقريش ؛ حيث وضع السلاح خارج الحرم ، وعلم الأمة لكى تحذر من أعدائها وأبقى كوكبة من الصحابة فى حراسة الأسلحة والعتاد ؛ لكى يراقبوا الموقف بدقة وفى ذلك معنى من معانى العبادة فى هذا الدين^(٢).

٣- ولم ينس ﷺ مجموعة الحراس التى كانت تحرس الأسلحة والعتاد بأن يرسل من يقوم بمهمتهم بمن طاف وسعى مكانهم ، ويأتى هؤلاء ؛ ليؤدوا النسك فقد كان ﷺ يتعامل مع نفوس يدرك حقيقة شوقها لبيت الله الحرام ، وما جاءت للمرة الثانية وقطعت هذه المسافة الشاسعة إلا لتتال هذا الشرف وتبل هذا الظماً فتطوف مع الطائفين وتسعى مع الساعين فعمل ﷺ على مراعاة النفوس ، وساعدها ولبى مطالبها من أجل إصلاحها والرقى بها ؛ إنه من منهج النبوة فى التربية^(٣).

٤- ونرى فى تنافس الصحابة عليّ وجعفر وزيد - رضوان الله عليهم- فى أخذ ابنة حمزة بن عبد المطلب ، كيف غير الإسلام النفوس والعقول تغييراً عظيماً ، فعادت البنات التى يتعير بها اشراف العرب ، وجرت عادة وأدها فى بعض القبائل فراراً من العار وزهداً فى البنات - حبيبة يتنافس فى تربيتها المسلمون^(٤) ، هذا وقد اعتمر رسول الله ﷺ أربع عمرات وحج حجة واحدة روى مسلم بسنده عن أنس - رضى الله عنه- أن رسول الله ﷺ اعتمر أربع عمر ، كلهن فى ذى القعدة إلا التى مع حجته: عمرة من الحديبية فى ذى القعدة ، وعمرة من العام المقبل فى ذى القعدة ، وعمرة من الجعرانة ؛ حيث قسم غنائم حنين فى ذى القعدة ، وعمرة فى حجته^(٥).

(١) فقه السيرة للبوطي ص ٢٧٠ .

(٢) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٤١٦) .

(٣) السيرة النبوية للصلاحي (٢ / ٤١٨) .

(٤) المصدر السابق ٢ / ٤١٩ بتصرف .

(٥) فقه السيرة للبوطي ٢٧١ .